

صفحات من الذاكرة

يوسف كمال:

كيف يجلس المسؤولون في ديوانية أرضها مغموبة للدولة؟

أجرى الحوار: جاسم عباس

●● الرعيل الاول في الكويت تخضرموا فترتي ما قبل النفط وما بعده، فقاوسوا مر الاثنتين وذاقوا حلاوتهما، عملوا وجاهدوا وتدرجوا، رجالا ونساء، الى ان حققوا الطموح او بعضا منه، ومهما اختلفت مهنتهم وظروفهم، فإن قاسما مشتركا يجمعهم هو الحنين الى الايام الخوالي، «القبس» شاركت عددا من هؤلاء الافاضل والفاضلات في هذه الاستكناة ●●

كنت أحضر اجتماع المجلس البلدي لأشعل لهم «التريك» وأحضر القهوة والشاي.. وعام ١٩٧٢ رشحت ونجحت

الخيال لا توجد ولا تسمع، املاك الدولة راحت ببلاك، ولكن المغفور له عبدالله السالم نظم العمل والتملك والتخطيط ثم تطور البلد أكثر.

منطقة الليل

وقال يوسف كمال: وزعت الأراضي بمئات الأمتار تحت ضوء القمر، وفي ليلة لطيفة هواؤها، وبعد منتصف الليل المضي، واختاروا هذه الليلة بتوزيع القسام معتقدين ان الليل يستر الحقائق وافضل من فصل الشتاء القارس، سمعت لآنس لا ادري لماذا في الليل:

التسمية

وتاتم أبو يعقوب حتى من تسمية بعض الشوارع، تأتي التسمية من التزيك، لأن عمه كان كذا وجده كان كذا ووالده كان كذا، وقال الذي درس فلان، لا معايير ولا قرار من المجلس البلدي، وفلان الله يرحمه يستاهل، ولكن أين أسماء الشهداء، والذي غرقوا في البحار والمحيطات لجل الكويت، وأين أسماء البحار الذين اغوا الفقراء واشبعوهم، أين الذين بنوا البيت سنة الهدامة، أين الذين فتحوا دواوينهم سنة الهيك، أين أصحاب السفن الذين قطعوا البحار من الشمال الى الجنوب في كل المحيطات؟

أنزل العائنين

وشكر العضو السابق في المجلس البلدي يوسف كمال الشيخ أحمد النواف الصباح الذي بدأ بنقل البلد من المخالفين والعائنين طالبا من المسؤولين التعاون معه لنقل البلد من الذين لا إقامات لهم، والذين يحصلون بطاقتة الزيارة وبعد ساعة تجده في الشوارع وبين المحلات يطلب العمل، ويبيع ويشترى لمدة ٣ أشهر لا رقيب ولا حسيب. وقال: كيف يدخل من عمره ٨٠ سنة، لمن جاء هذا العجوز، أنزل يا شيخ أحمد الذي يعمل عند غير الكفيل كيف يغادر دون علم كفيله، المسؤولين في الشوارع وعند المساجد والجمعيات من المسؤول عنهم: محلات تعمل من دون اجازات تجارية، ولا اعلانية، ولا صحية، محل ٢×٢ صار مطعم حتى مغسلة ما عنده، ولا مطافي ولا مطبخ، ولا موقف للسيارات، التجار يعملون خارج منجزتهم في الشارع، ويقابوا الخشب اثلقت الشيوخ، والحدادين تعالوا وشوفوهم، أين الرقابة؟ أين الوالي؟ يأتي المراقب وهو يضحك، ويركب سيارته الفخمة، وإذا قلنا قالوا: ما عليكم منهم، كأنهم في دولة ثانية. واستغرب ما يحصل في الكويت، كانت نمونجا صادقا، نمت وفق مخطط رسم لها حياتها منذ منتصف الخمسينات من هذا القرن، والآن تختلف عن الكثير.

تاريخ البلدية

كان للبلدية منذ نشأتها شأن اعتباري، ولها حق التملك والتصاعد بواسطة مجلسها، ولها السلطة التنفيذية وقوانينها ونظمتها التي تطبق على الجميع، وأخذت البلدية خبرتها من التجار والوجهاء الذين قاموا بزيارات الى الأقطار المجاورة، والتطلعوا على ما وصلت اليه بلدياتهم، وبعد ذلك اقيم فاعل البلدية، والتفاهم بين الحاكم ومجموعة من التجار في خدمة المجتمع الكويتي ورفقه وتقدمه وتنميتها.

وقال كمال: في عهد الشيخ أحمد الجابر الصباح عام ١٩٣٠ انشئت البلدية ومارست صلاحياتها عن طريق مجلس منتخب من المواطنين ورفسه من آل الصباح، وكان الامير المغفور له الشيخ أحمد الجابر يتولى الرئاسة وهو المرجع الاعلى، وشعر الناس بالنظافة والحراسة والمراقبة وتحصيل الرسوم، وعرف الكويتي مراقبة ابواب والذبح، وانتقلت الرقابة الى خارج السور، وشكلت لجانا للكشف على الطرقات والشوارع، وصرف مكافآت للعاملين والبلدية كانت تقدم القروض والمساعدات للعاملين فيها. وفي عام ١٩٥٤ دخلت البلدية مرحلة جديدة بعد استغلال الثورة النفطية، وظهور الإصلاحات الداخلية، وتنظيم الادارات بعد تولي المغفور له الشيخ عبدالله السالم الصباح، وكل ما أقوله ان اهدافها لم تختلف منذ انشائها في ١٩٣٠، الى عام ١٩٦٠ في اهدافها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبعد الاستقلال دخلت الكويت مرحلة جديدة بوضع الدستور، واصلاح بعض القوانين الخاصة بالبلدية، وبمخطط انتخاب المجلس البلدي، وهنا التحقت البلدية بمجلس الوزراء على ان يتولى شؤونها وزير الدولة لشؤون مجلس الوزراء.

وذكر يوسف كمال رؤساء البلدية منذ تاسيسها فقال: الشيخ عبدالله الجابر الصباح ١٩٣٢ الى ١٩٣٧ الشيخ حمود الجابر الصباح ١٩٤٠ الى ١٩٤٢ الشيخ أحمد الجابر الصباح ١٩٤٢ الى ١٩٤٩ الشيخ عبدالله السالم الصباح ١٩٥٠ الى ١٩٥١ الشيخ فهد السالم الصباح ١٩٥١ الى ١٩٥٥ الشيخ سالم العلي الصباح ١٩٦٠ الى ١٩٦٣ السيد محمد يوسف العبدستاني ١٩٦٤ الى ١٩٦٦ السيد بدر الشيخ يوسف ١٩٧٢ الى ١٩٧٦ عبدالعزيز العبدستاني ١٩٧٦ الى ١٩٨٣ داود مساعد الصالح ١٩٨٤ الى ١٩٨٦ محمد ابراهيم الشايع ١٩٨٦ الى ١٩٩٤ عبدالرحمن ابراهيم الحوطي ١٩٩٤ الى ١٩٩٩ احمد محمد العبدستاني ١٩٩٩ الى ٢٠٠١ روضان الرضان ٢٠٠١ الى ٢٠٠٣ عبد الرحمن الدعيج ٢٠٠٣ الى ٢٠٠٥ عبدالله المحييبي ٢٠٠٥ الى ٢٠٠٦

مانع قبل النشر

تذكر أبو يعقوب الرقابة على الاسواق والمحلات، ويعتبر صاحب المهنة المراقب - اتقى الناس واشرفهم وافضلهم في أداء المهنة، كان يخاف الله ويفكر في مصلحة البلد واهالي الكويت، وكان يعرف الخائن والغشاش، ويؤدي عمله اثناء الدوام وبعده، ويحاسب المقصر، وكان يعمل من منطلق الاخلاص، ف شعر انه يمنع الغش قبل وقوعه ونشره، يراقب القوانين، ويصر على الالتزام، وللأسف قُلت الرقابة، ايها المسؤول انزل الى الشارع وتابع بنفسك، وكن عوناً وستدا للمراقب.



يوسف علي كمال

رفضنا العمل في مستشفى المقوع خوفاً من العقارب والثعابين

■ تسمية الشوارع تأتي بالتزكية لا معايير ولا قرار من المجلس البلدي
■ شأن البلدية اعتباري وخبرتها كسببتها من التجار
■ على أحمد النواف أن يدخل البلد من العائنين بقوانينها

عيادات خارجية بالقرب من المنشآت النفطية، وفي ١٩٦٠ افتتح مستشفى الاحمدي واطلق عليه اسم مستشفى سائولوف نسبة الى اول مدير لشركة نفط الكويت.

القهوة غنيمة

وتحدث عن المقاهي القديمة التي كانت تشكل جانبا مهما من النشاط الاجتماعي والاقتصادي في الكويت، وكانت زاخرة بالمواطنين في اوقات فراغهم ومفتوحة من طلوع الشمس حتى العاشرة ليلا، واكثرها كانت من العرشان وكان الشاي والشربت والقهوة، والنامليت بوتيله وقال: احب ان اذكر بعضها حسب تدرجات: قولة بوناشي، قهوة بوعباس، وقهوة ملاعباس البلوشي، والطاويش، والرئيس وهي قهوتنا قرب مناخ الابل غرب سوق التجار، وقهوة الدهن واليهود، والنواخذة،

القانونون أجبر

تحدث أبو يعقوب عن القانون الذي نظما وربط العلاقات الاجتماعية بيننا، وهو الذي اجبرنا على احترام القواعد بواسطة السلطة العامة، القانون الكويتي فعلا كان مطبقا في السنوات التي مضت علينا وعلى أبائنا، وكان يبين الاجراءات الواجب اتخاذها عند وقوع المخالفة، وكان فاعلا يضبط ويحقق ويحكم على عليه، وتنفذ العقوبة. وقال: والآن لا يطبق، وتوسعت المخالفات وكثرت، ووصل تعدي الكويتي على املاك الدولة مئات الامتار، ويأخذ ٣ اضعاف بيته بين احواض للسباحة وغرف وحمامات، ويؤجر ويقبض، والمسؤول كان يقول هذا الشعب عليه ان «يتبجح» وكل يقول: هذا فلان، وابن علان، وصديق زيد وزوير وعوير، وضاعت الصلقة. اتمنى ان تحد الحكومة من هذه المخالفات ولن تقضي على الفساد الا اذا تدخلت بقوة، وحصل تساو بين افراد الشعب، ولا تعتمد على مدير او نائبه لانهم هم اصحاب التعديات والمخالفات، كيف يجلس في ديوانية مبنية على ارض مغموبة للدولة؟ والمخالفات امامه.

في مستهل لقائنا مع يوسف علي محمد كمال قال: ولدت سنة ١٩٣٠م في فريج الشرق وكانت مساحتها لا تتعدى ٣ كيلومترات مربعة اي في الجزء الشرقي من مدينة الكويت، واول من سكنه بعض العائلات الكويتية الكبيرة منها: آل صباح والرومي والنصف والغانم وهلال المطيري والمضف والقاضي ومعرفي والموسى والعوضية والكنادرة والحساوية والبلوش ومن معالم الشرق قصر دسمان والسفارة البريطانية.

وعن الدراسة قال ابوعقوب: كانت المدارس الموجودة تدرس القرآن الكريم، وجزءا منه للحفاظ على ظهر قلب كانت مفيدة خاصة في تعلم امور دينية، ثم انتقل تعليم الملا او المطوع الى مسابرة اللغة العربية والحساب والدين، وهذه ستساعد على مساعدة آبائهم لمراجعة حساباتهم في محلاتهم التجارية، ومساعدة المدارس نفسه على كسب قوت يومه عندما يكبر.

واضاف: اما انا فدرست عند الملا رضا في حي الشرق بالقرب من بركة الشرق الساحة المقابلة لباية العصر ثم انتقلت الى فريج العاقول، كانت الدراسة عنده بسيطة انتقلت بعدها الى المدرسة الجعفرية والمباركية، ولم اكمل دراستي انا وغيري بسبب سفر الآباء لاشهر طويلة، فكان الاعتماد على الذكور من اولادهم، فالدراسة ثانوية بوجود الوالد، وفي غيابها هو الكادود وهو الذي يوفر تقريبا قوت الأسرة، لذلك كانت الدراسة عند الملا اسهل من المدارس النظامية، والمهم ان نقرأ القرآن ونحفظ جزءا منه، وكان الوالد يمتك في بلده ويعيش بين اولاده مدة لا تزيد على التسعين يوما من ايام السنة.

مقابر ضائعة

وتحدث عن المقابر التي كانت وضعت دون ان تسجل في سجلات البلدية، متأسفا لعدم وجود جهاز اداري مختص لحفظ وتسجيل الاماكن التاريخية كالمقابر او غيرها. وقال: انا ولدت بالقرب من مقبرة هلال المطيري الطواش وتاجر لآي بني مقبرة عرفت باسمه، وهناك مقبرة تسمى «العنينة» في شارع الجبراء تحولت الى حديقة عامة توقف فيها الدفن عام ١٨٩٦م، ومقبرة الصالحية توقف فيها الدفن ١٩٦١م، وافتتحت مقبرة الصليبخات في طريق الجبراء في السنة نفسها. ومقبرة ما زالت مسورة في شارع خالد بن الوليد تعرف بمقبرة «مدوه»، ومقبرة الجعفرية واخرى للحساوية بالقرب منها، ومقبرة للمسيحيين تبرع بها الشيخ مبارك الصباح، وارض اخرى وهبها لهم الشيخ احمد الجابر خلف مبنى الخليجية، وتوجد مقبرة لليهود بالقرب منها، ومقابر اخرى ولكن لم تسجل في البلدية، خصوصا مقبرة في شارع الجديد مدخل سوق المباركية للخضار والاسماك واللحوم.

وقال يوسف كمال: نحن نضع الاسماك لانفسنا، فمثلا مقبرة سيد عبدالله الان اول من ام الجماعة، ويجب ان نذكر المؤسس والمتولي.

بداية عملي في القهوة

وتذكر الاعمال التي مارسها في البداية مع اخيه الكبير (ريس) في القوة على السيف، وكان متخصصا في نقل الاستكانات على يد واحدة بعد الظهر، واما في الصباح فكان يعمل عند محمد رفيع معرفي «مساعد خياط في السوق الداخلي».

وقال: وعملت بعد ذلك مع عبدالله الملا في التجارة (سكر نجار) اي نصف نجار، كان يسونود بعض متطلبات شركة النفط منها الاحشاب، ثم اصبحت نجارا، والسيد عبدالرحمن العتيقي اختارني لكون مسؤولا عن مخازن النفط وموقعها في الوطية على موقع قصر السلام، كانت عبارة عن خيم كبيرة، والمعدات كانت تأتي من عدنان ولكنها مستعملة، وكنت اكتب على الصناديق نوع المعدات وتاريخ التسليم، واملع ٢٤ ساعة، وكانت الخدم منصوبة من القصر الى موقع الماطح تسمى المنطقة (بارد)، ثم نقل المخزن بامر من الانكليزي «نيبتل وسويتش» الى المقوع.

«بلسوت»

وتعجب من تلك الايام وهم يدخلون الغرفة ٣ ايام فقط ليغسلوا كيف يرتدون «بلسوت» (قميص وسروال طويل من قطعة واحدة)، كان عربيا على مجتمع الكويت هذا اللبس الكحلي.

وقال يوسف كمال: كنا نلبسه خلف الستارة نخرج ويقول لنا المسؤول خطا، وهكذا حتى كيف نرتدي هذا العجيب، وطلوبنا منا الا نخلعه حتى وصولنا داخل المنزل، حتى يعرفوا انكم عمال في شركة النفط. رفضنا الطلب، قلنا لهم «هذا ليس الشواتي (فرود) ركينا التريلة trolley نوع من عربات النقل الطويلة تجرها السيارات الكبيرة حتى اجتمع حولنا الناس في ساحة الصفاة، وبدأ السؤال، كيف نخلد في هذا اللبس؟ وسالنتني امراة يا ولد الحجي اشلون بشيت داخل حتى قالت والديني: لي الانكليزي خربوكم، يجب ان تخاطبوا وترفضوا عند كل مسؤل، والكل كان يقول: اشكال عربية وعجيبة، لماذا وافقت؟ وكيف نخلد ام البلسوت هو الذي دخل في اجسامكم؟

الخدمات الصحية

وتاريخ الصحة العامة يوظفي شركة نفط الكويت بدا من عام ١٩٣٥، حينما يتم توظيف طبيب دائم في محيم كافظمة، وفي عام ١٩٤٧ اقامت الشركة اوكشا وخياما في المدينة لاستقبال المرضى، وفي ١٩٤٨ افتتحت الشركة في منطقة برقان مستشفى المقوع، طلبوا منا العمل في هذه المنطقة فرفضنا خوفا من الثعابين والعقارب، واخيرا وافقنا على نقل التراب من الطريق المؤدي بين الشركة والمستشفى، ونحن اربعة عمال اعطوا لكل منا حمرا وشيلا وشحن لنقل التراب، ورفضنا الحمرا حتى لا تكون حمارة، واخيرا بدأنا نقل حليب بقر الهندي الى شجرة الاتكلين، والهندي، هو المسؤول عن البيض ويضع المواد الغذائية، كان راتبني ٣ روبيات، وفي عام ١٩٥٤ افتتح مستوصف للنساء والاطفال وغرفة عمليات، بالإضافة الى اربع